لغة العربية

التحديات والمواجهة

أ:دوان موسى الزبيدي
مدقق وباحث لغوي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية : التحديات والمواجهة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان ،و رفع هذه اللغة ، و أعلى شأنها , حيث أنزل بها خير كتبه و أفضلها , والصلاة و السلام على أفصح من نطق بالضاد خاتم المرسلين , نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

أما بعد :ـ

إن لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا , فيحق لنا أن نفتخر بها , و نعتز بها ، و يجب علينا أن نذود عنها ،و نوليها عناية فائقة . و يتمثل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها، و تخليصها مما قد يشوبها من اللحن و العجمة، و علينا أن لا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات، و جملة من الألفاظ والتراكيب بل يتعين علينا أن نعتبرها كائناً حياً , فنؤمن بقوتها، و غزارتها و مرونتها وقدرتها على مسايرة التقدم في شتى المجالات ،كما تعدّ مقوماً من أهم مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ،ورسالتنا والرابط الموحد بيننا، والمكوّن لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، والصلة كذلك بيننا ،وبين كثير من الأمم .

إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل. إنها تمثل خصائص الأمة واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية ،والموجهين لسفينتها .

ما اللغة :

لقد اختلف العلماء في تعريف اللغة و مفهومها , وليس هناك اتفاق شامل على مفهوم محدد للّغة، و يرجع سبب كثرة التعريفات، و تعددها إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم , فانتقاء تعريف لها ليس بالعملية اليسيرة منها على سبيل المثال لا الحصر :-

1. يعرفها ابن جني [1] بقوله : ((أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) .
2. اللغة نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بوساطتها التعارف بين أفراد المجتمع ، تخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج، أ والحركات التي يقوم بها جهاز النطق ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية[2] .
3. ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس [3].
4. صورة من صور التخاطب سواء كان لفظياً أو غير لفظي .

---

[1] الخصائص أبو الفتح ابن جني ج/1ص/33 عالم الكتب تح/ محمد علي النجار

[2] في التحليل اللغوي د/ خليل احمد عمايرة مكتبة المنار ط/1 /1987م

[3] سيكولوجية اللغة والمرض العقلي د/ جمعة سيد يوسف ص/ 51 سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م

5. اللغة كما يقول (أوتو يسبرسن) : نشاط إنساني يتمثل من جانب في مجهود عضلي يقوم به فرد من الأفراد ، ومن جانب آخر عملية إدراكية ينفعل بها فرد أو أفراد آخرون .
6. اللغة نظام الأصوات المنطوقة .
7. اللغة معنى موضوع في صوت أو نظام من الرموز الصوتية [4].
8. إدوارد سابيير : اللغة وسيلة إنسانية خالصة , وغير غريزية إطلاقا , لتوصيل الأفكار، والأفعال والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية [5] .
9. أنطوان ماييه : إن كلمة (اللغة) تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية ،أو قيمتها من الناحية الحضارية .
10. اللغة نشاط مكتسب تتم بواسطته تبادل الأفكار والعواطف بين شخصين أو بين أفراد جماعة معينة , وهذا النشاط عبارة عن أصوات تستخدم، وتستعمل وفق نظم معينة .

واللغة نعمة من الله عزّ وجل للإنسان مثله مثل كل الحيوانات التي تمتلك نظاما من الرموز، والإشارات للتفاهم فيما بينها . فيقال : لغة الحيوان ، ولغة الطير ، ولغة النبات ، قال تعالى :((وعلمنا منطق الطير)) النمل / 16. .. ولكن لغة الإنسان تمتاز بأنها ذات نظام مفتوح بينما الحيوانات الأخرى نظامها التعارفي نظام مغلق .

وظائف اللغة [6]:-

يتفق غالبية علماء اللغة المحدثين على أن وظيفة اللغة هي التعبير أو التواصل ،أو التفاهم على الرغم من أن بعضهم يرفضون تقييد وظيفة اللغة بالتعبير أو التواصل ؛ فالتواصل إحدى وظائفها إلا إنه ليس الوظيفة الرئيسة .

((وقد حاول " هاليداي " (halliday) تقديم حصر بأهم وظائف اللغة فتمخضت محاولاته عن الوظائف الآتية :

1) الوظيفة النفعية (الوسيلية) :-

وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها " أنا أريد " فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم ..

2) الوظيفة التنظيمية :-

وهي تعرف باسم وظيفة " افعل كذا .... ولا تفعل كذا " من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين , لتنفيذ المطالب ،أو النهي ، وكذا اللافتات التي نقرؤها ،وما تحمل من توجيهات وإرشادات ...

3) الوظيفة التفاعلية :

---

[4] سيكولوجية اللغة والمرض العقلي د/ جمعة سيد يوسف ص/ 56 سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م

[5] الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام ص/47 سلسلة كتاب (الأمة) ع/84رجب1422هـ

[6] سيكولوجية اللغة والمرض العقلي د/ جمعة سيد يوسف ص/22 وما بعدها بتصرف . سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م

وهي وظيفة " أنا ، و أنت " تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته , فنستخدم اللغة في المناسبات , و الاحترام , و التأدب مع الآخرين .

4) الوظيفة الشخصية :

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤاه الفريدة , ومشاعره و اتجاهاته نحو موضوعات كثيرة , وبالتالي يثبت هويته ،وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين .

5) الوظيفة الاستكشافية :-

وهي التي تسمى الوظيفة " الاستفهامية " بمعنى انه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة .

6) الوظيفة التخيلية :-

تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قوالب لغوية ، كما يستخدمها الإنسان للترويح , أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل , وإضفاء روح الجماعة , كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية ...

7) الوظيفة الإخبارية (الإعلامية) :-

باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه , بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة , وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة . ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية , إقناعية ؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة ،أو العدول عن نمط سلوكي غير محبب .

8) الوظيفة الرمزية :-

يرى بعضهم أن ألفاظ اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي , وبالتالي فإن اللغة تخدم كوظيفة رموزية .)) [7]

واللغة كالكائن الحيّ ، فهي تنمو وتترعرع، وتشب وتشيخ وقد تموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والاستمرار , مرهونة في ذلك بتنوع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية ،فعندما يتطور المجتمع حضارياً وإنتاجيا تتطور اللغة والعكس ... فهي في الطور البدوي تختلف عنها في المدنية والحضارة ، وهي في أهل الصحراء خلافها في الجبال والسهـــــول .

نشـــــأة اللغـــــــــــة :-

أما حول أصل نشأة اللغة وما يتصل بهذه النقطة من موضوعات فكرية لن نخرج منها بكثير فائدة بله أن تشتت أفكارنا، فقد تصدى للبحث فيها كثير من الفلاسفة والمتكلمين واللغويين , وذهبوا في البحث مذاهب شتى : فهذا يقول مصدرها التوقيف من الله , وذلك يقول مبدؤها الطبيعة , وآخر يقول منشؤها الاصطلاح والتواطؤ ـــ

[7] سيكولوجية اللغة والمرض العقلي د/ جمعة سيد يوسف ص/22 وما بعدها بتصرف . سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م

ويكفينا هنا أن نعلم أن هناك نظريات متعددة حول نشأة اللغة ، أشهرها أربع نظريـــات :

(1)/ نظرية التوقيف : قال بها أفلاطون وأبو علي الفارسي ، وابن حزم ، وابن قدامة , وأبو الحسن الأشعري , و الآمدي , وابن فارس ومعظم رجال الدين ، ويستدلون بقوله تعالى :

: ((وعلّم آدم الأسماء كلها)) " البقرة /31". وبما جاء في سفر التكوين ((وجبل الربّ الإله كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، فكل ما دعا به آدم من ذات نفس حيّة فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم و طيور السماء ، وجميع حيوانات البرّيّة)) ، الإصحاح الثاني عشر آية (20/19).

(2)/ نظرية المواضعة والاصطلاح : قال بها سقراط ، وديمقريط ، وآدم سميث ، ومن العرب أبو الحسن البصري ، وأبو إسحاق الاسفراييني ، والسيوطي ، وابن خلدون .

(3)/ نظرية المحاكاة: تعني أن يحاكي الإنسان ما حوله في الطبيعة من الظواهر , وأول من أشار إلى ذلك ابن جني في الخصائص ثم قال: ((وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل [8])) , ولكنه لم يستقر على هذا الرأي أيضاً بعد أن ناقش الرأيين السابقين , والأسلم ألا ننسب الرجل إلى مذهب بعينه من المذاهب الثلاثة .

(4)/ نظرية الغريزة : يريدون أن الله زوّد الإنسان بآلة الكلام ، وبجهاز للنطق ، فهو حتما سينطق شاء أم أبى .

- والحديث في أصل نشأة اللغة ـــ على رأي الإمام الغزالي ـــ فضول لا أصل له، وكأنه يدعو إلى الانصراف عنه إلى معالجة اللغة بوصفها حقيقة واقعية في وضعها الراهن , وهذا التوجه من الإمام الغزالي ينسجم تماماً مع توجه علم اللغة المعاصر الذي أخرج هذه القضية من نطاق مباحث علم اللغة ...

وبعد هذه التوطئة البسيطة عن ماهية اللغة ، ووظائفها . ننتقل إلى معنى لفظة (العربية)..

مـا هـي الـعـربـيـــــــــــــــــــة :-

متى كانت العربية ؟ علم ذلك عند الله , ولكنه سبحانه لم يصادر حريتنا في أن نحاول معرفة أي شيء يمكن أن تبلغه قدراتنا بالقطع , أو بالحدس والتخمين . يقال إن العربية تنحدر من اللغة الآراميّة , وهي التي تكلم بها آرام بن سام بن نوح عليه السلام

واللغة العربية أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة. ونظراً لتمام القاموس العربي ،وكمال الصرف والنحو ،فإنها تعد أمّ مجموعة من اللغات تعرف باللغات الأعرابية أي التي نشأت في شبه جزيرة العرب ، أو العربيات

[8] الخصائص ج/1 ص/47

من حميرية وبابلية وآرامية وعبرية وحبشية، وعلماء اللغة حديثاً يصنفون كل السلالات اللغوية والعودة بها إلى لغة (أم) أطلقوا عليها ((اللغة السامية)) وأول من أطلق هذه التسمية ،هو العالم النمساوي شولتزر عام 1781م وواضح أنها تسمية عنصرية اقتبسها من نص من نصوص التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار(العهد القديم) (الأصحاح 10 سفر التكوين) في ظل تقسيم وهمي للأجناس البشرية مستمد من أبناء نوح وهم : سام وحام و يافث , فكيف ينشأ ثلاثة أخوة في بيت واحد ويتكلمون ثلاث لغات ؟

أصبح يقينا لدى الباحثين المنصفين، أن وصفنا لحركة المسلمين إلى خارج شبه الجزيرة العربية في القرن السابع بالفتح والفتوحات الإسلامية أصبح تعبيرا خاطئا, فهو لم يكن فتحا بل كان تحريرا للعرب من الحكم الأجنبي كهدف سياسي, وهو توحيد للعرب في الموقع المكاني بمعناه الجغرافي كهدف قومي, كما أنه من الخطأ القول بأن العرب ساميون والصحيح هو القول: إن الساميين عرب.

السامي والسامية والساميون، تعريف يطلق على التجمعات والكيانات البشرية التي وجدت في فلسطين وغور الأردن وجنوب العراق وشبه الجزيرة العربية, باعتبار أن كل هذه المناطق، تشكل وحدة جغرافية واحدة, والمعروف أن الجميع جاؤوا من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي فقد ذهبوا إلى أطراف شبه الجزيرة العربية, في هجرات عدة متتالية, وقد استحالت لغة وألسنة هذه الأقوام إلى اللغة العربية واللغة العبرية واللغة السريانية, والسامية أيضا هي مصطلح يطلق على كل الشعوب والأمم والقبائل قديما وحديثا مرورا بالعصور الوسطى التي تنتسب إلى سام بن نوح, ومن المعروف أن التوراة أول من أشار بالنص إلى ذلك التقسيم كما سبق وأسلفنا.

بعض العلماء نسب الصفة العربية إلى مدينة (عربة) في بلاد تهامة, وقيل أنها نسبة إلى يعرب بن يشجب بن قحطان وهو أبو العرب العاربة، أول من تكلم العربية على صورتها المعروفة ، وقيل أيضا أنهم سموا كذلك نسبة إلى فصاحة لسانهم في الإعراب , وقد وردت تسمية ((العربية منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد , إذ وردت في نصوص شلمناصر الثالث الآشوري [9]))... والأقوام الذين تكلموا العربية لا يحصي عددهم إلا الله : منهم العرب البائدة : وهم قبائل طسم ، وجديس ، والعماليق ، وأهل الحجر ، وقوم هود وصالح عليهما السلام وغيرهم. وهولاء لم يصل لنا شيء من أخبارهم لا من قريب ولا من بعيد ... وهناك العرب العاربة : وهم القحطانيون ومن ينحدر منهم .. وأخيرا العرب المستعربة وهم أبناء إسماعيل العدنانيون .

إن الموروث الكتابي العربي أعمق جذوراً مما يظن حتى الآن ، فلو أضفنا إليه موروث الكتابة العربية كما كتبها الأكاديون (بابليون و آشوريون) بالخط المسماري ،وما كتبه الكنعانيون على سواحل الشام ،، وكذلك مخطوطات أوغاريت

[9] مهد الإنسان العربي نظرية تحتاج إلى تأصيل د/ محمود عبد الحميد أحمد مجلة العربي ع/472/مارس1998م ص/115

ـ وتل العمارنة ـ ومخطوطات البحر الميت لاتصل تاريخ كتابة العربية ببضع آلاف قبل الميلاد [10].

وتأسيسا على ذلك فالعرب هم في شبه الجزيرة العربية التي تشتمل على جنوب العراق وجنوب الشام وفلسطين وشبه جزيرة سيناء , و العربية وليدة واقعها المعيش أخذ العرب ألفاظها من الطبيعة المحيطة بهم، فجاءت مفعمة بالصور ومشحونة بالأحاسيس والمشاعر .

إن الشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم ، وهذا التشابه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتراثنا الثقافي العريق , ويرتبط بعمالقة الشعر والأدب بخاصة الذين سجلوا مثلنا العليا [11]" ويرتبط باللغة العربية التي نعتز بالحديث بها .. ولهذا فإهمال الأدب القديم ـــ والاتجاه أكثر إلى الأدب الحديث يساعد من يروج للفصل بين الآداب القديمة ((حيث امتداد أخلاق الآباء والسلف)) وبين الآداب الحديثة ،ولسنا بحاجة إلى التأكيد على دور اللغة في بناء الأمة وصناعة وجدانها، وتكوين هويتها وثقافتها، وضمان تماسكها وتواصل أجيالها .

العربية لغة مقدّسة :-

العربية لغة القرآن الكريم ، وهو مهيمن على ما سواه من الكتب الأخرى , وهذا يقتضي أن تكون لغته مهيمنة على ما سواها من اللغات الأخرى . وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله الله للبشرية جمعاء ، واختار الله له اللغة العربية ، وهذا يعني صلاحيتها لأن تكون لغة البشرية جمعاء ، ينبغي أن ندرك أبعاد هذه المسألة .

قال تعالى : ((إنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين))(الشعراء/193ـ 195) فلما وصفها الله بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنها ، وهذا وسام شرف وتاج كلل الله به مفرق العربية ، خصوصاً حين ناط الله بها كلامه المنزل ، قال تعالى :-((إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))(الزخرف/ 3) وقال تعالى :- ((كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)) " فصلت / 3" . وقال ((قرآناً عربياً غير ذي عوج)) (الزمر/28) ومن هنا قال حافظ على لسان العربية :-

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آي به و عظات

فهو يشير إلى الطاقات الهائلة والمخزون الضخم الذي تمتلكه العربية التي وسعت هذا القرآن بكل أبعاده و آفاقه . إنها لغة الخلود حيث لا يمكن أن تزول عن الأرض إلا أن يزول هذا الكتاب المنزّل ،، وقد تكفل الله بحفظها ضمنياً في قوله : ((إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون)) " الحجر/9" .

ومن الطريف ما ذكره محمد الخضر حسين : ((كتب " جون فرن" قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية، حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض، بدا لهم هنالك أن يتركوا أثراً يدل على مبلغ رحلتهم ،فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل جون فرن عن اختياره

---

[10] الكتابة الطينية من الرقم الطينية إلى الحجارة فالورق محمد الأسعد ص/46 مجلة الكويت ع/200 / 2000/6/1م

[11] حصوننا مهددة من داخلها د/ محمد محمد حسين ص/ 245 ط/1978/5/ المكتب الإسلامي .

للغة العربية , قال :إنها لغة المستقبل , ولاشك أنه يموت غيرها , وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه) [12].

فضل تعلّم العربية :-

يرى كثير من العلماء أن الكلام بغير العربية لغير حاجة قد يورث النفاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق)) (أخرجه الحاكم في المستدرك) ؛ فلا نعجب إذا علمنا أن من العلماء من أوجب تعلم العربية وإتقانها ، قال عمر بن الخطاب : ((تعلموا العربية فإنها من دينكم , وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم)) , وكره الشافعي لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها , وقال ابن فارس : ((لذلك قلنا إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم))[13] . وقال أبو هلال العسكري : ((فعلم العربية على ما تسمع من خاص ما يحتاج إليه الإنسان لجماله في دنياه ، وكمال آلته في علوم دينه)) وفي ما خلفه لنا علماء العربية دليل على فضلها , فما خلفه ابن جني الذي كان متمكناً من اليونانية لأنه رومي , وما خلفه أبو علي الفارسي الذي كان متمكناً من الفارسية مع أن الرومية والفارسية كانتا أزهى لغتين في زمانهما بعد العربية وكذلك كان شأن الكثير من سلف الأمة , حتى أثر عن أبي الريحان البيروني قوله : " لأن أشتم بالعربية خير من أن امدح بالفارسية " و قد قال الشعراء في مدح اللسان واللسن أبياتاً لا تحصى منثورة في كتب الأدب. كما ذكر محاسن العربية أيضاً رجال يعرفون غيرها من اللغات الراقية وشهدوا لها بأنها أقرب اللغات انطباقاً على النظم الطبعية قال المستشرق " أرنست رينان " في كتابه " تاريخ اللغات السامية" : ((من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية , وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرحل,تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ..)) وقال المطران يوسف داءود الموصلي : ((من خواص اللغة العربية وفضائلها أنها أقرب سائر اللغات إلى قواعد المنطق، حيث إن عباراتها سلسة طبيعية,يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها عما يريد من دون تصنع وتكلف)) [14].

هكذا فعل سلفنا الصالح في خدمتهم للغة القرآن والعروبة أحبوها حباً عظيماً , ووهبوا لها نفوسهم , فنقحوها ووضعوا قواعدها وأصلوا نحوها وصرفها حتى بلغت درجة الكمال والصفاء ، أما نحن عرب عصر التكنولوجيا والاختراقات الفضائية ،و الثورة المعلوماتية فقد فشا فينا التخاذل والتكاسل والتقاعس فكنا كقول أحدهم : فخلف من بعد السلف خلف تنكروا للغتهم واحتقروها ، ونظروا إليها نظرة ازدراء ،و اتهموها بالعجز والقصور ،وعدم صلاحيتها للعصر .

واجبنا تجاه العربية :--

---

[12] القياس في اللغة العربية محمد الخضر حسين ص/12 ط/1983/2م دار الحداثة .
[13] الصاحبي أحمد بن فارس ص/55 تح/ السيد احمد صقر
[14] القياس في اللغة العربية محمد الخضر حسين ص/ 18

إن خدمتك للغة العربية تعني خدمتك للقرآن والعروبة، ولو من وجه بعيد . وإن السلف الصالح ما قصروا في خدمتها حيث بذلوا الجهد والمال والوقت لخدمة لغة القرآن والعروبة , عكفوا على تعلمها لما لها من مكانة مقدسة في نفوسهم ,, غاروا عليها ، وغاروا على بيانها المعجز أن تدنسه عجمة الأعاجم ولوثة الإفرنج ... فقضوا سني حياتهم في تقعيدها ،وإشادة أركانها ورسم أوضاعها ...

ولعل أقل ما نعمل أن ننشر هذه الكتب المخطوطة التي تقبع في متاحف العالم وأن ننفض عنها غبار الزمن ، حيث إن هناك حوالي مليون مخطوطة عربية موزعة في أرجاء العالم ((ففي تركيا 155أ لف مجلد / وروسيا 40 ألف مجلد / والعراق والمغرب 35ألف مجلد / وتونس 25ألف مجلد / وبريطانيا و سوريا 20 أ لف مجلد / والولايات المتحدة 15ألف مجلد / والهند والسعودية 15ألف مجلد / يوغسلافيا فيها 14 ألف مجلد / فرنسا 8500 مجلد / اليمن 10 ألف مجلد / إيطاليا والفاتيكان 7500مجلد . تضاف إلى هذا بلدان تحتفظ بما يقارب 7500 مجلد ليصل الرقم إلى ما يقارب مليون مخطوطة عربية ناجية ما تزال موزعة في أرجاء الكرة الأرضية .))[15] .

كذلك ينبغي إغناء المكتبة العامة بالمؤلفات التي تحث على كيفية تعلم العربية وتسهيل تعلمها للناطقين بها، ولغير الناطقين بها , بالإضافة إلى استغلال الوسائل المرئية والمسموعة والمكتوبة إلى أقصى حد ممكن لخدمة العربية .

إن من أكبر مصائب الأمة أن يكون تعليمها بغير لغتها , وتفكيرها بغير أدواتها , وقياس حاضرها يكون بمعايير وضوابط حضارية غريبة عنها ,, والحالة هذه من التخاذل والتكاسل والتبعيّة ، واجهت العربية مجموعة من التحديات والمصاعب وقفنا منها موقف المتفرج ، إن لم نكن شاركنا فيها من طرف خفي . وقد آن الأوان أن نفضح خطط الأعداء ونكشف عن نواياهم الخبيثة، ونثبت للعالم أن هذه اللغة ثرية غنية باقية فنرعاها حق الرعاية، ولا ندعها تتعرض للتقويض والانهيار والغزو اللغوي الشرس من الداخل والخارج ...

[15] الكتابة الطينية من الرقم الطينية إلى الحجارة فالورق محمد الأسعد ص/46 مجلة الكويت ع/200 / 2000/6/1م

مرونة اللغة العربية في مواجهة التحديات :

التحدي الأول :- اتهامها بالعقم والجمود والتحجّر والقصور ، وأنها لم تعد ملائمة لأساليب القرن الحادي والعشرين عصر الثورة المعلوماتية، و الاختراقات الفضائية ، فكان منا من نظر إلى تخلف العرب العلمي في عصر الذرة فأعلن أنه لا يرى لهذا سبباً غير تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة والتعليم العالي منها خاصة , وآخر يلحّ في الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية ،وغيرها بلغة غير عربية ؛ ليظل العربي ،و المسلم خاصة عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن .

المواجهة :-

أولاً :- الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. وللكلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها , فخاصية الاشتقاق من أعظم ما امتازت به العربية , فبالاشتقاق عملت على زيادة موروثها اللفظي والمعنوي كلما تقدم الزمن ،،((وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم , ومن ذلك قوله فيما صح عنه : " يقول الله :(أنا الرحمان خلقت الرحم , وشققت لها اسم) والحديث في مسند الإمام أحمد))[16] ولنأخذ على سبيل المثال مادة ((كتب : كتب - كاتب - مكتوب - كتابة – كتاب ـ مكتبة ....)) : إننا نستخدم هذه الكلمة وعمرها أكثر من 1500عام ، مأخوذة من (الكَتْب) بسكون التاء ، قال الجوهري : أصله في اللغة للسقاء ، تقول : كتب السقاء ، إذا خرّزه بسيرين ، فهي في معنى / الضم والجمع/ .. ومنه الكتيبة للجيش ، ثم انتقلت اللفظة إلى الكتابة . وإنما قلنا :إن أصلها السقاء لأن العرب عرفت السقاء واحتاجت إليه في ترحالها في الصحارى، واحتاجت إلى صلاحه قبل أن تعرف الكتابة ،، ولو عرفت ما للسقاء (القربة) من الأسماء لهزك العجب . إن خاصة الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب ونظراتهم إلى الوجود وعاداتهم القديمة، وتوحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة.

ومن الطريف لمعرفة سعة هذه اللغة ما نقله ((صاحب " المزهر " عن حمزة الأصبهاني : أن الخليل ذكر عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل من غير تكرار وهي اثنا عشر مليون بناء وثلاثمائة وخمسة أبنية وأربعمائة و اثنا عشر (12305412))[17] و ما ذكره د/ محمد نعمان الدين الندوي في مجلة الأدب الإسلامي قال : ((عدد الألفاظ المستعملة من اللغة العربية خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألفاً و أربعمائة لفظ [5,099,400]، من جملة ستة ملايين وستمائة وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمائة لفظ [6,699,400] ، بينما نجد الفرنسية لا تحتوي إلا على

[16] لغة القرآن الخالدة بين مقومات الخلود ومظاهر الجمود مجلة الأدب الإسلامي عدد 7 السنة الثانية/ 1995م ص/73
[17] المزهر 74/1

خمسة وعشرين ألف كلمة(25000) ، والإنجليزية على مائة ألف كلمة(100000) فقط) [18]. ويقول الألماني فريتاغ : ((اللغة العربية أغنى لغات العالم)) .
فانظر يا رعاك الله إلى هذا البحر الهائج قال حافظ :-

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

ثانياً :- اللغة العربية تمتاز بثبات الأصول ومرونة الفروع ، وثبات أصول الألفاظ ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، فالحفاظ على الأصل ،واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب كما تتصف بها لغتهم، إذ تمكن الخاصة الاشتقاقية من تمييز الدخيل الغريب من الأصيل . ((وبهذه المرونة عولجت مسألة المصطلحات , وقد لاحظ ألفرد غيوم هذه الخصائص فعلق عليها بقوله :" صلح اللسان العربي للتعبير عن العلاقات بإيجاز أكثر من اللغات الآرية لمرونته وقابليته الاشتقاقية الفائقة في الاسم والفعل ...)) [19] . فاللغات الأوروبية تتغير معاجمها بين الحين والحين، ولا يمر قرن واحد إلا ويصيبها تغيير أساسي في مفرداتها وقواعدها . بينما للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها : كالقلب المكاني ، والنحت ، و التعريب .. وغيرها . ومن مرونتها كذلك ، الظواهر الصوتية من إبدال ، وإدغام , وإظهار , وإخفاء , وروم ، وإشمام , وأيضاً اسم المكان - الزمان - السببية - الحرفة - الأصوات - المشاركة - الآلة - التفضيل ... وغيرها , تلك المرونة التي أتاحت لها أن تغدو لغة الحضارة في القرون الوسطى . ويقول وليم ورك : ((إن للعربية ليناً ومرونةً يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر.))
قال حافظ على لسان العربية :-

وسعت كتاب الله لفظاً وغايـــــةً وما ضقت عن آي به و عظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعـــــات

ثالثاً :- وهي لغة المترادفات إذ يكثر أن يكون للمسمى الواحد أكثر من مفردة لغوية واحدة بل قد تصل إلى العشرات بل المئات ولا ننسى أن كثير من هذه المترادفات نشأ من تعدد اللغات , أو من ملاحظة اختلاف دقيق في الأحوال والصفات ، قال ابن فارس في الصاحبي : ((فإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة العربية فهذا غلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد وكذلك الأسد والفرس ...)) . وقد سمع أن معاني (العين) تنيف على المائة ، ومعاني (العجوز) تنيف على الثمانين ، ومعاني (الكرم) على الثلاثين ،، قال ابن خالويه : جمعت (للأسد) خمسمائة اسم ، و (للحيّة) مائتين . وذكر صاحب القاموس في مادة (سيف) أن للسيف أسماء تنيف على ألف اسم قال : وذكرتها في (الروض المسوف). فإذا رجعنا إلى معاجم المعاني وجدنا أموراً عجباً. فتحت المشي الذي هو المعنى العام أنواع عديدة من المشي :

---

[18] لغة القرآن الخالدة بين مقومات الخلود ومظاهر الجمود مجلة الأدب الإسلامي عدد 7 السنة الثانية/ 1995م ص/73
[19] بحوث في اللغة والنحو والبلاغة عبدلاله احمد النبهان ص/ 54

درج , حبا , حجل , خطر , دلف , هدج , رسف , اختال , تبختر , تخلج , أهطع , هرول , تهادى , تأود... لقد ألف اللغويون العرب مؤلفات خاصة بإبراز الفروق بين الألفاظ مثل : الفروق لأبي هلال العسكري، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ، والمخصص لابن سيده الذي يقع في 17 جزءاً .

رابعاً :ـ علامات الإعراب التي تمتاز بها العربية دون غيرها من اللغات الأخرى التي يحاول أعداء العروبة و الإسلام أن يطمسوها بدعوى(تبسيط النحو / صعوبة النحو ... الخ) ولا تعدو أن تكون معولاً يحاول أن يصيب مقتلاً في كيان هذه الأمة , وهي محاولات هدامة تحاول إضعاف العربية . .

بينما تلزم الكثيرات من اللغات متكلميها بترتيب معين للكلمات يميز الوظائف النحوية فيها , ويضيع هذا التمييز إذا اختل هذا فالإنجليزية مثلا تتبع ترتيب ،، فاعل + فعل + مفعول ،، فإذا أردت أن تقول : أكل زيد طعاماً ، يجب أن تقول : زيد أكل طعاماً . ولا يجوز أن تقول : أكل زيد طعاما ,,, أما في اللغة العربية فأنت تقول : أكل زيد طعاما / وزيد أكل طعاماً / و أكل طعاماً زيد / وطعاماً أكل زيد / وطعاماً زيد أكل ، فتأمل هذا وتدبره . وفي معرض الحركات فإن جملة (ما أحسن زيد ؟!.) يمكن أن تكون استفهاما وتعجبا وذمّــا ؛ وذلك لوجود علامات الإعراب التي تلحق بأواخر الكلمات وتميز الفعل من الفاعل من المفعول ،ونظام الأعراب هذا يدل على المرونة التي تمتاز بها اللغة العربية .

التحدي الثاني :ـ تلك الدعاوى الرامية إلى تفجير العربية ، وتحويلها إلى ركام من التراكيب ، والدلالات التي يعجز اللبيب عن إدراك مراميها فضلا عن المثقف العادي . وقد بلغ مداه وأقصاه في ما يسمون أنفسهم (أهل الحداثة), والحداثة أمرها محدث ،وشر الأمور المحدثات , لم يفكروا في حداثة تحافظ على خصوصيتنا، وهويتنا وشريعتنا السمحة , وتوقف نزيف الكلمة الطيبة التي نحروها على نصب الغموض والرمز وعبث القول ((والحداثة العربية في جميع صورها إنما راجت لسببين أساسين هما:

1- جنوح الناس إلى الخروج عن المألوف، و لُهاثهم خلف «العصرنة»!!

2 - الخلط بين الحداثة - وإن شئت فقل بين الهدم - والتجديد.

ولما ظهرت مدارس «اللامعقول» المتنوعة (السوريالية، العبثية، العدمية، الوجودية) كتب النقاد عنها باعتبارها أكبر انقلاب حداثي، وأسمى سارتر مجلته «العصور الحديثة»!!

وفي الستينيات زعمت البنيوية أنها الثورة الحداثية التي لم يشهد التاريخ لها من نظير.

ولكن نقيضها «التفكيكية» سرعان ما ظهر في أواخر العقد نفسه مدعياً الدعوى نفسها.

وفي أمريكا كانت موجة «الهيبيز» آخر صرعة في نظر مفكري ذلك العقد، والآن تلاشت وارتد كثيرون للأصولية الإنجيلية.)) 20 .

وكما أصابت شظايا تفجير اللغة الأدب الشعري فقد امتدت لتطال النثر وخصوصاً النقد : فالناقد يتحدث بأسلوب موغل في الغموض والتعمية ،وغير مفهوم وبلغة غريبة , سواء في ما ترجم من مؤلفات النقاد، أو في كثير من الكتب النقدية , كل ذلك باسم الحداثة وتفجير اللغة .

المواجهة :ــ إننا لا نرفض الشعر الحديث جملة وتفصيلاً ،، ولكننا أيضا لا نتركه يعبث في أدبنا ويهين مقدساتنا ويخبط فيهما خبط عشواء .. لابد من وضع مفتاح نقدي وإطار ومعيار فني تنظم سير الشعر الحديث ،وتكشف عن جماله فيستمتع به القارىء . إن الحياة فرضت علينا لوناً ولغة جديدة ــ وهذا طبيعي ــ ولكن أريد أن أفهم هذه اللغة ، وأمتع حاستي الفنية من أدبها .((أما بحسب المفهوم الحداثي فالطفل الصغير الذي يلغو بكلمات وتمتمات هائمة لا رابط بينها، والشعرور الذي يخبط في العروض والقوافي ويلفق التراكيب الهشة ، ويضع كلمة سطراً، وجملة سطراً آخر، وثلاث جمل سطراً، ثم يرجع من جديد حتى يسوِّد مساحة كبيرة من الورق بغثيان لا معنى له.. والنائم الذي يحلم ويهمهم بألفاظ لا نسق يجمعها.. والحشاش... و... ـ كل أولئك حداثيون [21])) .

فحينما ننظر إلى هذا الركام من حولنا , الذي انتفش , وأصبحت له مؤسسات تعني به ، وترّوج له , وتكرم الداعين المتسربلين برداء الحداثة حينما ننظر إلى كل هذا نستشعر مدى المسؤولية الملقاة على عاتقنا لحفظ اللغة العربية , إنها مسؤولية عقدية وأدبية ؛ لأن حماية العربية ــ وهي لغة القرآن ــ من هذا السيل الجارف من الركاكة والرطانة تصبح واجباً دينياً وقوميا قبل أن يصل ببعض الملاحدة أن يتطاول على أسلوب القرآن المعجز، وحلاوته وطلاوته فيتهمه بالدونية والقصور والإخفاق.

التحدي الثالث : *الانتصار للعامية والحروف اللاتينية على حساب الفصحى الكلام يطول حول هذا الجانب ، إلا أن:.....*

المواجهة هي : *الفصحى والعامية* تعايش سلمي قديم :

حقيقة كون اللغة واحدة ذات أساس ومرجعية تاريخية ثابتة ،أما اللهجات الموجودة في الواقع فهي نتيجة طبيعية للعزلة التاريخية ، والانقسامات الدينية التي رسخت الشرخ الطائفي بين أبناء الأمة الواحدة، واللهجات عموما موجودة في معظم اللغات الحية وفي جميع أصقاع الأرض ولا تخلو لغة من لهجات عامية تختلف من بلد لآخر، ويصل الاختلاف أحياناً إلى حد تعذر فهم لغة الشخص الآخر من ذات القومية كما هو الحال في اللغة العربية حيث نجد صعوبة بالغة أحيانا في فهم اللهجة العربية للجزائري أو المغربي أو الموريتاني أو الصومالي.

---

[20] مقدمة في تطور الفكر الغربي والحداثة د/ سفر الحوالى (البيان) * العدد 198* صفر 1425هـ * مارس - ابريل 2004م

[21] مقدمة في تطور الفكر الغربي والحداثة د/ سفر الحوالى (البيان) * العدد 198* صفر 1425هـ * مارس - ابريل 2004م

ففي كل لغة من لغات العالم الحية توجد لغة فصحى ،وتوجد لهجات عامية محكية ومهما اختلفت اللهجات بحسب المناطق والبلدان، فإن المرجعية تكون للفصحى الأساس، ومهما دخلت الشوائب والكلمات الغريبة على اللهجات المحكية فإن الفصحى هي الحصن المنيع والمرجع الأخير لكل الطوائف من أبناء الشعب الواحد.
إن تجاهل كل هؤلاء المستشرقين والمستغربين لمسألة الازدواج اللغوي أي وجود العامية والفصحى في حقيقتها الراهنة في العالم المعاصر ، و إلصاقها بالعربية فقط هو صرف للقضية في غير مسارها الحقيقي ((فالازدواجية ظاهرة عامة لها أصولها ومقوماتها النفسية والاجتماعية وليست ذات صبغة مرضية كما يحاولون تصويرها إذا تكلموا عن العربية , وكأنها انفردت من بين لغات البشر بهذه الازدواجية . وعلى كل حال فإن من المبالغة أن نتصور أن هناك ذلك البون الشاسع المتوهم بين عاميتنا وفصحانا خاصة بعد أن خطا التعليم بالناس خطوات واسعة نحو الفصيحة في سائر الدول العربية ... وما حدث تجاه مسألة الازدواجية من تهافت أدلة أولئك الشعوبيين حدث تجاه المسائل الأخرى التي باتت مفضوحة الارتباطات كالدعوة إلى الكتابة باللاتينية التي بلغت حداً من التهافت والسخف جعل أصحابها موضع تندر قبل أن يكونوا جديرين بالرد والنقاش وللإنصاف هناك من حكم ضميره فتراجع عن دعواه! ولكن هل انهزم أعداء العربية ؟؟؟ إنهم يعرفون أن هدم ذلك البناء الشامخ غير ممكن ولا ميسر لذلك فإنه يكفيهم في كل مرحلة أن يخربوا بعض أطرافه ويقلعوا بعض أحجاره لعله يتاح لهم في المستقبل دكّ أعمدته وتخريب أساسه ..)) [22]

.

لغة مختصرة موجزة : [23]

والإيجاز في العربية على أنواع ، فمنها الإيجاز في الحرف، حيث تكتب الحركات في العربية عند اللبس فوق الحرف أو تحته بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم الحرف أو يزيد عليه. وقد نحتاج في اللغة الأجنبية إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (KH) مثلاً ولا نكتب من الحروف العربية إلا ما نحتاج إليه ... وفي العربية إشارة نسميها (الشدة)، نضعها فوق الحرف لندل على أن الحرف مكرر أو مشدد، أي أنه في النطق حرفان، وبذلك نستغني عن كتابته مكرراً، على حين أن الحرف المكرر في النطق في اللغة الأجنبية مكرر أيضاً في الكتابة على نحو (flapper) و (recommendation) ... ونحن في العربية قد نستغني كذلك بالإدغام عن كتابة حروف بكاملها، وقد نلجأ إلى حذف حروف. فنقول ونكتب (عَمَّ) عوضاً عن (عن ما) و (مِمَّ) عوضاً عن (من ما) و (بِمَ) عوضاً عن (بما) ومثلها (لِمَ) عوضاً عن (لِما) .

<u>الإيجاز في الكلمات</u> :/ وبمقارنة كتابة بعض الكلمات بين العربية والفرنسية والإنكليزية نجد الفرق واضحاً :ـ

العربية وحروفها	الفرنسية وحروفها	الإنكليزية وحروفها

[22] بحوث في اللغة والنحو والبلاغة عبدالاله احمد النبهان ص/70-72
[23] اللغة العربية ومكانتها بين اللغات د/ فرحان السليم ص/ 10 وما بعدها

6 mother	4 mère	أم 2
6 father	4 père	أب 2
7 brother	5 frère	أخ 2

ومن الإيجاز حالي التثنية و الجمع :ـ

الباب البابان - البابين the two doors les deux portes

الباب البابان - البابين the two doors les deux portes

الإيجاز في التراكيب : والإيجاز أيضاً في التراكيب ، فالجملة والتركيب في العربية قائمان أصلاً على الدمج أو الإيجاز . ففي الإضافة يكفي أن تضيف الضمير إلى الكلمة وكأنه جزء منها :

كتابه - son livre كتابهم leur livre

وأما في الإسناد فيكفي في العربية أن تذكر المسند والمسند إليه بلا رابطة ملفوظة أو مكتوبة، فنقول مثلاً (أنا سعيد) على حين أن ذلك لا يتحقق في اللغة الفرنسية أو الإنكليزية ، ولا بد لك فيهما مما يساعد على الربط فتقول :

(je suis heureux) ، (I am happy) .

فمثلاً سورة (الفاتحة) المؤلفة في القرآن من 31 كلمة استغرقت ترجمتها إلى الإنكليزية 70 كلمة .

والنفي أسلوب في العربية يدل على الإيجاز :

العربية : (لم أقابله) ، الإنكليزية : (I did not meet him)

الفرنسية : (Je ne l'ai pas rencontré)

العربية : (لن أقابله) ، الإنكليزية : (I will never meet him)

الفرنسية : (Je ne le rencontrerai jamais)

وهكذا نرى أن العربية في عصرنا الراهن عاشت مرحلة صراع دام ضد القوى الخفية والظاهرة ومع ذلك فلا تزال تمارس وظيفتها السياسية والقومية في حفظ الوحدة اللغوية , كما تمارس وظيفتها في الحفاظ على الشخصية العربية والتاريخ العربي والإسلامي .

التحدي الرابع :ـ الإعلام العربي واللغة العربية..

والإعلام : هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير ، وروحها ، وميولها ، واتجاهاتها في الوقت نفسه ((فهو أولاً وقبل كل شيء يعدّ من أهم مؤسسات التشكيل الثقافي , ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا : بأن جميع مصادر التشكيل الثقافي على تنوعها أصبحت بحوزة الإعلام [24]))

الاتصال الجماهيري تتسع رقعته يوماً بعد يوم ، فالسماء وما فيها من أقمار صناعية ، والأرض وما فيها من مستقبلات فضائية ، كل يخاطب كلاً ويتصل به ((

[24] (الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام نور الدين بليبل ص/ 28) سلسلة كتاب الأمة ع/84/رجب1422هـ

وقد يكون ميدان الصراع الحضاري الحقيقي اليوم , قد تحول إلى الإعلام , وأصبح التمكن من امتلاك الشوكة الإعلامية , بكل لوازمها ومقتضياتها يضمن الغلبة الثقافية , التي تعدّ ركيزة التفوق الحضاري [25]) حيث ألغى الإعلام كل الحدود الجغرافية والسياسية للدول , فلم تعد الشرائح الاجتماعية تهتم عمّن تتلقى ،، يكفيها أنها تتلقى فحسب .. وهي تنتقل من فضائية إلى أخرى ومن قناة إلى أخرى دون أن تكترث ،، وإن استقرت فإنها تستقر على قناة تعرف لغتها ، لأن العائق اللغوي يلغي مشاهدة أكثر من 70% من المحطات .. والتلفاز هو الوسيلة التي تستهلك أكبر وقت من حياة المشاهدين ، والمذياع في المرتبة الثانية ، ثم الصحف ،وتليها المجلـــة .

فإذا افترضنا أن الشرائح الاجتماعية لا تعرف إلا اللغة العربية ، فهذا يعني أنها هي المرشحة للخطاب الإعلامي ، سواء أكانت الفصحى أم العربية الميسرة (MSA) . ولكل لغة مستويان على الأقل : المستوى الذي يخاطب الخاصة وهو لغة المثقفين والمتعلمين ، ومستوى حوار العامة في الأسواق والشارع .

هناك شبه إجماع بأن هناك قراراً سياسياً أو إداريا يوجه اعتماد العربية الفصحى لغة للإعلام .

وإدارات الإعلام الرسمية تخطط برامجها على أساس أن الجمهور يقع بين حدين : الأمية ـــ والثقافة ، وما بينهما من درجات ، فتخاطبه بالفصحى ، وباللغة الثالثة ، وبالعامية .

إن أعلى نسبة للفصحى في الإعلام نلاحظها في البرامج التي تعتمد الخطاب الرسمي : كنشرات الأخبار ، والتقارير ، المناسبات السياسية ، والمسلسلات الدينية ... وغيرها ، وأعلى نسبة للعامية نجدها في برامج الأطفال ، والأسرة ، والبرامج المنوعة والترفيهية ، والمسلسلات المعاصرة ، والأغاني بكل لهجاتها .

و الـتـلـفـا ز وسيلة ذات جمهور واسع ، تستغرق أكبر وقت من مشاهدة الناس ، وتجده في كل مكان . كما أنه يقدم أنماطاً من السلوك الاجتماعي واللغوي تفتقر إليها وسائل الإعلام الأخرى ، و مما يدل على أهمية هذه الوسيلة الإعلامية ـ على الرغم من أن الصحيفة (الورقية والإلكترونية)لها قاعدة عريضة وتستطيع المنافسة إذا أحسن استخدامها وتوجيهها ـ أنه أحكم قبضته على الأسرة واحتل صدر المجالس في الدور بلا منازع ولا منافس وتربع فيها بشموخ منقطع النظير ، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أنه فيما بين 600-700 ساعة على الأقل من عمر الإنسان تضيع سنويا في مشاهدة التلفاز ، ويشكل الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدخول إلى المدرسة أوسع شريحة من مشاهدي التلفاز حيث تبلغ ساعات مشاهدتهم حوالي 22.9ساعة في المتوسط أسبوعيا بينما يمضى أطفال المجموعة العمرية من 6-11سنة حوالي 20.4ساعة مشاهدة أسبوعيا ، بل إن دراسات مسحية أخرى بينت أن هناك أوقاتَ مشاهدة أطول تصل إلى 54ساعة أسبوعيا لمشاهدين لم يصلوا إلى السن المدرسية بعد. حيث حوّل الإعلام بإمكاناته الهائلة غرف التعليم التقليدي , بسبوراتها وأقلامها، ومقاعدها ،ووسائلها , إلى ما يشبه المعتقلات التي لا يصدق التلميذ متى يخرج منها

[25] التقديم بقلم / عمر عبيد حسنة لكتاب (في الغزو الفكري د/ احمد السايح ص/20) سلسلة كتاب الأمة ع/38/رجب1414هـ

ليقعد دون إحساس بالزمن إلى التلفزيون , أو الإنترنت (الشابكة), أو الكمبيوتر (الحاسوب) .

ولذلك فليس بمستغرب أن نجد انتشار ظاهرة تراجع المستوى الدراسي لأطفال التلفاز فضلا عن تدنى قدراتهم العقلية والخبرات الخاصة نتيجة حرمانهم من ممارسة القراءة , يقول برونو بتلهايم: Bruno Bettelheim : "التلفاز يأسر الخيال لكنه لا يحرره، أمّا الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته ... فتصبح القراءة ممارسة سطحية ، ويرجع السبب إلى الانتباه المسترخي غير المركز (السلبية العقلية) المصاحب للمشاهدة التلفازية الذي يعوق نمو قدرة الأطفال على تفسير المادة اللفظية بطريقة ذات معنى ما يجعل عملية القراءة والتحصيل شاقة جدا" وفي ذلك يقول واحد من أبرع كتاب أمريكا إ. ب. وايت E.B. White :" لست أعرف حقا ماذا يمكننا أن نفعل من أجل القراءة فيما عدا إلقاء جميع أجهزة التلفاز بعيدا ..إننا في حاجة ملحة لأن نقف وقفة حاسمة تجاه التلفاز نحدد فيها ما يمكن أن نشاهده والقدر من الوقت الذي نستغرقه فإذا فشلنا في هذه الوقفة ،فعلينا أن نختار بين التلفاز ،أو أطفالنا .

يبين أصحاب الخبرات الطويلة في البحث اللغوي أن أفضل طريقة لتعليم اللغة ،وأيسرها إلى الطبيعة، هو " خلق بيئة فصيحة تنطق بها العربية " ، وأن نستمع إليها ونطيل الاستماع ، ثم نحاول التحدث بها ونكثر المحاولات ... فتكمن خطورة طول فترات المشاهدة التلفازية في أنها لا تساعد الطفل على السير في النضوج الطبيعي، والخروج من مرحلة التفكير غير اللفظي إلى مرحلة التفكير اللفظي، والنمو اللغوي لديه ؛لأن عملية المشاهدة تجربة غير لفظية بصرية لا تقوم بدور ملموس في نمو اللغة عند الطفل، كما أنها تصرف الطفل عن مشاركة لغوية متبادلة مع الأفراد المحيطين ومن هنا يفقد الطفل مصدرا مهما للتنبيه اللفظي الذي يساعده على تنمية المراكز اللفظية في قشرة المخ ؛لذلك كانت العلاقة بين مشاهدة التلفاز والنمو اللغوي عند الأطفال علاقة عكسية ، وفي أحدث الدراسات أظهر الأطفال الذين شاهدوا التلفاز بكثرة مستويات لغوية متدنية حيث فقدوا الساحة الأساسية لنمو اللغة عن طريق الحديث الواقعي والإصغاء . فهل يمكن لوسائل الإعلام أن تسهم في إيجاد هذه البيئة .

إننا بحاجة إلى (تنمية الملكة اللغوية للمجتمع) أي نقله من مستوى إلى مستوى أفضل ، ومن نمط بال إلى آخر متقدم ، ومن طريقة تعبيرية سوقية إلى أخرى رائعة , إذ ليس من اللائق التستر وراء الشعبية لتسويغ الإسفاف , أو لتسويغ القضاء على الشعب بالجهل الأبدي الذي يقصر إطلاعه على موضوعات لا تعلو بالقارئ عن طاقة الأمية من سقط المتاع , وليس من المقبول كذلك أن تبقى مشكلة الأمية مسوغاً لتدني مستوى لغة الخطاب الإعلامي ، لأننا اذا خاطبنا العامة بلغة الأميين نكون قد أسهمنا في زيادة نشر الأمية ، ولكن إذا خاطبناهم بلغة أرفع نكون قد أفدناهم من جهة ، ولأن استمرارنا في ذلك سيجعلهم يتعلمون شيئا ما ، ويستخدمونه في التعبير من جهة أخرى ،، لأن اللغة ضرب من السلوك قبل أن تكون علماً ومعرفة 00

ظواهر سلبية في الإعلام المرئي :-

(1) فشو العامية على ألسنة بعض المذيعين ولا سيما في المقابلات والمحاورات ، على الرغم من أن الصحافة المقروءة استطاعت حتى الآن أن تصون نفسها من الانزلاق في اللهجة الدارجة نوعا ما.

(2) بعض الألفاظ الأجنبية كثيرة الترداد على ألسنة المذيعين مثل: **Ok / bravo /** وهذا العيب قلما نجده في الصحافة المقروءة..

(3) الإيغال في التفرنج واللهث وراء كل ما يصدر عن الغرب حتى في أسماء القنوات الفضائية من مثل **Orbit / art / Lbc / mbc** .... والسؤال الذي يفرض نفسه : مادام مضمون برامج التلفزة والإذاعة عربياً وباللغة العربية ، فما المسوغ لهذه الأسماء الأجنبية ، إن الأجانب بطبيعة الحال لا يلتفتون إلى إذاعاتنا وبرامجنا ، ولا تعنيهم في شيء ، بل لا تحظى بأي قدر من الاهتمام لديهم ، ولا تلامس مشكلاتهم ، وبينهم وبينها حاجز اللغة الأصم المنيع .

(4) إن المعول عليه الآن عند توظيف المذيع أن يكون (فتاة) يراعى في انتقائها أن تكون حسناء ، يافعة ، رشيقة القد ، مليحة الوجه ، أثيثة الشعر ..... أما ماعدا ذلك من إتقانها اللغة العربية وتجويد أدائها ، وحسن نطق مخارج الحروف .. فهذا أمر لا لزوم للتشديد فيه ، وربما لا يؤبه له . يكفي أن تكون سليمة من عيوب النطق وحبسة اللسان، وما عليها في نهاية الأمر ألا أن ترسم ابتسامة على ثغرها ..

(5) ضحالة الأسلوب وضعف الزاد اللغوي لدى المذيعين غالباً ، وسبب ذلك قصور إطلاعهم على أساليب البلغاء وكلام الفصحاء .

(6) لغة الإعلانات : غلبت الركاكة على اللغة الإعلانية وكثرت فيها الأخطاء والابتذال ، سواء في الصحف أو في التلفاز والإذاعة .. تراها منتشرة في كل مكان ، واللافتات منصوبة على جوانب الطرق ، وفي المحلات التجارية ، والمتاجر عباراتها سوقية عبارات هجينة ، مسفة ..

المـواجهـــــــــــــة :-

((لذلك لابد أن نجيب في العملية الإعلامية عن السؤال الكبير: " لماذا ؟ " فنجدد النيّات (نوايانا) ، ونوضح أهدافنا من العمل الإعلامي .. ثم نصل إلى السؤال : " كيف ؟ " فنضع الخطط والبرامج ونحدد الوسائل والأدوات في ضوء إمكاناتنا والواقع الذي نتعامل معه , ومن ثم تحديد الإجابة عن : " متى ؟ " وذلك لاختيار الزمن المناسب لأداء العمل)) [26] وصولا إلى حلول ومقترحات :

(1)/ أن تستخدم وسائل الإعلام في توعيتها الكلمات الفصحى ، والعبارات سليمة التراكيب التي تجمع بين البساطة في التعبير ،، واحترام قواعد اللغة .
(2)/ قيام وسائل الإعلام بالتوعية المستمرة في حثّ الجماهير على النطق بالعربية الفصحى .
(3)/ ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الكفاءة يتتبعون النشرات والتقارير والبرامج الأخرى .
(4)/ تقديم جوائز تشجيعية لكل من يخرج عملاً إعلاميا من لقاء أو مسرحيات أو أغان أو مسلسلات بلغة فصحى مبسطة للجماهير في كل قطر .
(5)/ يجب تقديم دروس تقوية للعاملين بالإعلام ، يكون حضورها إلزامياً في مسائل العربية ونحوها وصرفهـــا .
(6)/ إقامة ندوات لغوية ونحوية للإعلاميين ، وإلقاء محاضرات بين الحين والأخر ، تناقش فيها مختلف القضايا اللغوية والنحوية المتعلقة بوسائل الإعلام .
(7)/ إصدار نشرة بأهم الأغلاط الملحوظة ، مع تصويبها وتعميمها على العاملين ليتم تلافيها .
(8)/ عدم قبول أي كادر إعلامي إلا بنجاحه في مادة اللغة العربية ، لأن هذا سيدفعهم للقراءة والمتابعة وتطوير قدراته اللغوية .
(9)/ أن يكون اختيار المذيعين قائماً على جودة اللغة العربية ، وإتقانهم لها ، فكراً وثقافة ، وكتابة موهوبـــــة .
(10)/ زيادة الوقت المخصص للبرامج التثقيفية في اللغة العربية والعمل على رفع مستواها .
(11)/ تعميم لغة مشتركة تقرّب بين اللهجات ثم تلغيها بمرور الوقت .
(12)/ الربط بين الإعلام وأجهزته وبين خطط التعليم والمناهج المدرسية .
(13)/ عرض ترجمات الأفلام والبرامج الأجنبية على المراجعين المدققين اللغويين قبل تسجيلها ، على أن يكون هذا شرطاً لشرائها أو مبادلتها .
(14)/ يفترض في الإعلانات التجارية أن تكون بلغة سليمة ناصعة ، آو على الأقل بلغة وسط بين العامية والفصحى .
(15)/ ينبغي عدم إدخال ألفاظ أجنبية على العربية في لغة الإعلانات ، لأن فيه إهانة لها ، وإنما يتم الترجمة أو التعريب حتى لا يؤدي هذا إلى ازدواجية لغوية .

---

[26] التقديم بقلم / عمر عبيد حسنة لكتاب (الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام نور الدين بليبل ص/ 27) سلسلة كتاب الأمة ع/84/رجب1422هـ

(16)/ يجب أن تستثمر وسائل الإعلام الدعايات الإعلانية بإلزامها بلغة عربية فصيحة معاصرة ....لأن تأثير الدعاية الإعلانية في الأطفال سريع جداً...

والله الموفق لما فيه خدمة لغة العروبة والإسلام

أ: دوان موسى الزبيدي

مدقق وباحث لغوي